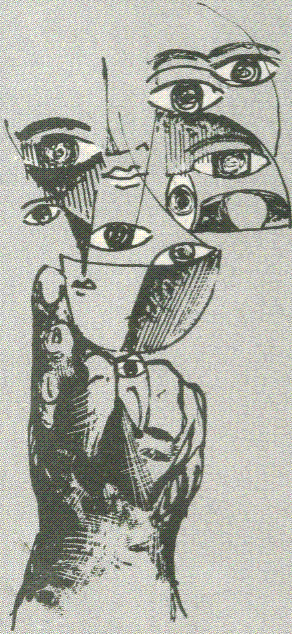
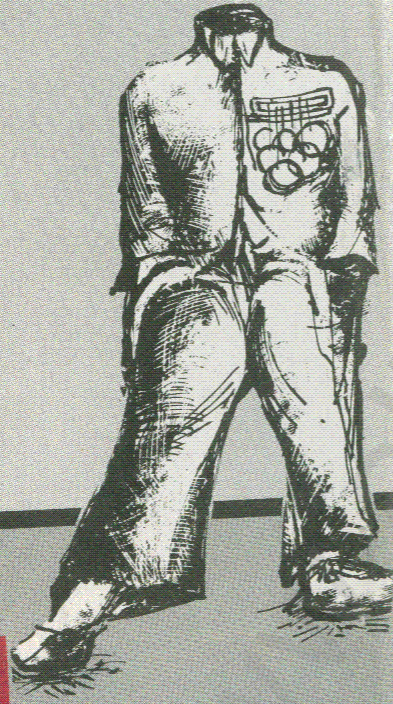


خالد حبيب الراوي

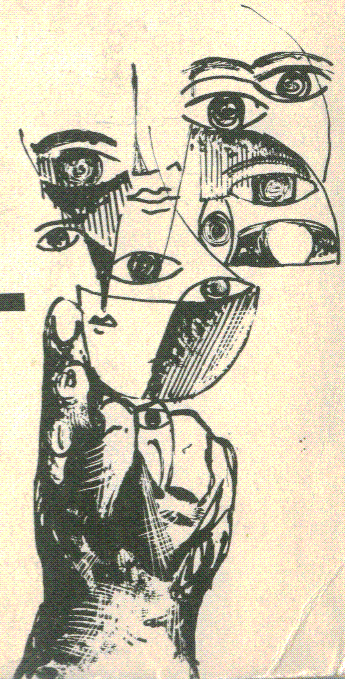


قصص



القناع

.. افلس



القناع

www.alkottob.com

القناع

قصه

خالد حبيب الراوي

www.alkottob.com

الحققة : خرائط الرمل

في الطريق الصاعدة ، والمنخفضة في امتدادها . كانت
الاقدام تحدث وبشيء من الرهبة فواصل متعددة وحادة .
- اية ساعة مخيفة تلك التي تشب فيها مقرا ، بجرأة نهائية ،
حياتك . في هذا الزمن الذي فقد فيه الناس جرأة التصدي
لضربة غامضة .
انه ذلك النور الصاقق الذي يتفجر في بقاع موحشة ،
ومتباعدة في العالم ، يلوح جاذبا اقداما ، حلرة ، تغيب في
مجهولات حقيقية .

احدى قواعد القتال :
جدارك في انسحاب المواجهة هو الرصاص
والانصت في الارض

مطبعة الشعب - بغداد
١٩٧٠

مسننة وانا ابصر رجلا شاهق الطول يسير ببطء امام السيارة
غير آبه واخر يشبهه يقف على جانب الطريق يراقب المسافة بين
السيارة والرجل دون حركة في الطريق الحاد المربوط باعلى
الجبال الموصلة الى عمان .

اختفى الرجل ومضت السيارة في ليل يعفق ظلامه .
وايقنت انني نجوت من موت حقيقي) .

دخلت الجثة في جمجمتي وكنت ارتقبها بالم طفيف .
- لا يجدي الحزن .

ومع ذلك كنت ارتب خطة لسحب الجثة . وكان الجميع
بالتاكيد يرتبون خططا مماثلة .

(كنت ممددا والرفاق يتعمدون . يتقدم الاعداء . يتقنون
في جيوبى وياخذون اوراقى . يحيطونى بدائرة من الالغام .
ثم يربطون جسدي بها . وينسحبون . ثم يعود الرفاق . وعندما
يرفعونى . يتناثرون في الهواء) .

صدمني صوت

- سيجعلونه فخا لنا .. كما فعلوا دائما بالقتلى

- لن يصيد الفخ هذه المرة . لكن . ترى هل نتركه ؟

اجاب بحزم

الاقدام تسير متوازية . متباعدة . رجال يتفوسون على
نقطة متحركة . النقطة المتحركة تتوضح متذبذبة ، بين الحجارة
والارض الحصوية . تدخل النقطة في الفوهات تماما . وتصبح
خطوطا ساكنة . متقاطعة قليلا .

ومن الجهة المقابلة ترمش قلمان وثنيان على الارض
متملدتين . وصرخة تمدو مع الاقدام القافزة ، المتبعدة .

(- ايها السادة لا تغتبطوا كثيرا لاننا قتلنا اثنين . فقد قتل

لنا رفيق) .

تقرير الى القيادة العسكرية

قتلنا اثنين وفقدنا رفيقا

لم نستطع سحبه

اطبقت الوجوه اجنحة افواهاها في القاعده . وكانت الجثة

الغائبة تزحم بينهم فتكتمهم فاسحين لها اقصى وسع .

- كان واجبا سحبهها .

(العائدون قدموا تبريرهم)

انوثق الافراد ، متوحدين ، بالجثة البعيدة

(كدت اصرخ بالسائق مرعوبا - قف . احسست برجفة

- نعم

قراءة

الدم يبعث النفور . ليس لدى البشر

استعداد الإبصار كزبد منه

(اصرخ عاليا . فعندما ترفع البنقيصة لتكون حرا لن

تخشى السفاكين . وإذا كنت حرا لن تضطر الى القتل او

الفرار . لكن تلك الحفنة من سفاكى العالم تآبى ترك البشر

يعيشون فى مسراتهم الصغيرة) .

- اعتقد اننا نستطيع رؤية الجثة من هنا ، بالنظر .

- ربما .

تناول المنظار المعلق على الحائط وتسلل خارجا . وعاد

بعد دقيقة هامسا باكتشافه .

- لقد ابصرتها . تعال .

نهضت وبعته . ناولنى المنظار واثار الى الاتجاه .

اكتسحت الارض الممتدة . وثبتت بالزاوية المنفرجة لخطى

العدسة المتقاطعين جسد صغير للغاية ، مموه لا تبدو ملامحه ،

تعلقت ايد متعددة بالمنظار

- دعنا نرى .

- ٨ -

وكان الرفاق يرفعون ايديهم .

قدمت المنظار . ونظرت فى الاتجاه بعينى المجردتين فلم

احدد شيئا .

استمر الرفاق يراقبون الجثة البعيدة .

وعاد الدور الى مجددا فى الروعية . كانت الجثة ملتحمة

تماما بالارض .

ابعدت المنظار .

واختلطت طيور كثيرة برزت من الجهة الغربية بالطرير

الكثيف .

- ٩ -

انقسامات الزاوية

تفصيلات

ابتدا السيد م برواية علاقته بكل واحدة
منهن وذكر جميع الاحداث التي حصلت
معهن . هذه الاحداث لا تفينا كثيرا

واضاف بحزم بارد

- والان استمعن . ساسافر

توتون جميعهم بتأهب . لكنهن يقين رياضات اراء السيد
م الذي كان يضع ساقه اليمنى فوق الساق اليسرى .

(بحار . مدن ضاجة . طائرات تنشر في ضوء الشمس .
جبال مثلوجة . زوارق في انهار افريقيا . طرق مسستقيمة .
اشجار مزهرة . نساء لا يصصين . عالم يتجدد بلا توقف)
اكذ السيد م

- رغم وسع العالم فانه صغير لا يحتوينى . انني اطلب
علما اشمل ، لا يحد .

نهضت فتاة نحيفة وأشارت تجاهه

- لقد خدمتنا نحن الخمسة سوية . والان تهرب .

: (عربية تنطلق بسرعة نهائية وانا راقد فيها . انظر الى
العالم يتقدم بكافة حركاته واضاءاته وظواهره من شبكي ثم ينطفئ
وتعرق العربة في فراغ مهجور . اصبح اتجاهها فتمسود الى

انتهى السيد م الى اتخاذ قراره الاخير .
اتصل بالفتيات الخمس التي له علاقة بهن وحدد لهن
كل واحدة ، موعدا متفقا في شقته .
دخلن كلهن . واجلسهن واحدة بجانب الاخرى . وجلس
امامهن .
اضطربت الفتيات واخذن يتأملن بعضهم . وطلبت عيونهن
استفسارا من السيد م .
قال السيد م .
- انتبهن .

من التظاهر بكمه امام تصميمه ومنظر حقيبه الصغيره
المهيبة .

- لن انهركن في اللحظة الاخيرة . سيسوى كل شىء .
وانمنى ان تخلقن لكن حياة سعيدة .
رفع السيد م حقيبه ثم نظر الى ساعته
- بعد نصف ساعة ستقلع الطائرة .

نهضت الفتاة النحيبة

- لن ندعك ترحل . اتنا نمنعك .
ازاحها بحقيبه لكن الاخريات وضعن ظهورهن على
الباب . قالت النحيبة

- لن تسافر . سنضعك تحت رقابتنا

قال السيد م للفتيات الاربع

- دعوني امر .

ازددن التصاقا بالباب .

نظر اليهن ثم عاد الى كرسيه . اسند حقيبه على طرف
المقعد

- لنتفق اذن . هيا اجلس .

اتخذت الفتيات موضعهن السابق امامه

المسالم)

رمق السيد م الفتاة الواقعة

((لقد انتهى زمن الامتلاك . الانسان يسمى لان يملك
نفسه وحدها . كافة الاشياء لكافة الناس دون احتكار ودون
امتلاك ايضا))

قال لها

- اجلسى . سننتهى الى اجساد مجردة اذا امتلكتنا بفضنا .
اننى اسمع كل ذرة في بقاع العالم تناديني ، واخشى ان ينهى
زمنى دون ان اتحرك .

انبرت النحيبة مجددا

- ساجيء معك

ولاحقتها الاخريات

- نحن على استعداد لمرافقتك .

: (لكي نولد دائما ومجددا ينبغي المضى وحسنا فلا فائدة

من الكشوفات اذا كان هناك من يراقب) .

قال السيد م

- لن آخذ واحدة منكن

اشتركن خمستن فجأة فى البكاء فلم تعد هناك فائسة

انتظارات

امتقلوني آخر مرة في حياتي وأنا في الرابعة عشرة من عمري .
وضعتوني بينهم في العربة الخضراء المحدبة ، واسلموني السي
ضابط عجوز .
تفحصني ثم اسقط عينيه في ملف به اوراق قليلة .
قال لي : تهتمك خطرة .
اراد ان يكتسحني بكلماته . لم اجبه ، فانا اعرف خريطة
المحققين هذه .
- ماذا تخبيء خلف جلدك .. هيا .. اخلمه ، ودعنا نرى .
وضعت يدي في جيوبي وتفحصته .
اتم في مودة مباغتته

اشار يهدوء كامل

- ماذا تردد بالضببط ؟

رمقت الفتيات بمضون يتردد وتأهبت كل واحدة للبدء

في الحديث .

اختطف السيد م حقييته وقفز بسرعة غير مميزة السي

الباب . اداره ورنه خطواته وهي تبعد .

كان السيد م يركض صوب المطار وهو قلق لتأخره وشاكا

بان الطائرة قد اقلعت .

- استيقظ فانت اسير .
- انفلت عيني واذني ، وانزلت رأسي من قمة جسدي
- ووضعت بين ثيابي ..
- نهض من خلف مكتبه وانتزع رأسي من كفي الواهنتين
- واعاده الى الرقبة .
- ستموت وحدك ويبقى العالم .. ملايين قبلك ماتوا وظل
- العالم يتكون . هل تنتظر ان تكون انت مصير العالم: هيا اخرج:
- احمل العالم بين ذراعيك ، دعه يكون جسدك ..
- قرع الجرس فانفتح الباب ..
- اشار الى التجويف المملوء بالنور الصناعي .
- : الحربة اختفت
- استدردت وقذفت خطواتي السريعة في الرواق .
- استقبلني رجل جالس في نهاية الممر
- اين تذهب ؟
- ليس هذا من شأنك .
- لا بد ان اعرف .
- لقد طردني الضابط وقال اذهب فانت حر . .
- انك مجنون .. لا يوجد هنا ضباط ..

- سنسير قليلا في مسافة جلدك والداخل .. ننتزه .
- تنزه بعيدا عني ايها السافل
- (في الحقيقة لم اقل له - سافل - بوضوح)
- ليس من حقا ان ترفض : فهي رغبتني .
- اطلب منك ان تطلق سراحى فورا .
- اتريد ان تكون حرا .
- (—)
- اخرج فانت حر
- استدردت الى الباب وفتحته ، فتشجرت حرية توسلت
- التجويف .
- انها مسمومة ، اذا لامستك ، لن ينضمك حتى الله ..
- اقفلت الباب وعدت الى وجهه .
- سألني
- لماذا لا تخرج .. انخسى ازاحة الحربة كي لا تموت ؟
- فكرت بلعمر - ربما - .
- ستحب هذا المكان وتمتاد عليه .. المطلوب ان تفكر
- قليلا وستصل الى نتائج مبهجة تملأ بها ايامك ..
- الا تعتقد ان لعبتك هذه مملة ؟

مياه

الاشياء سوداء في الليل .. العالم اسود .. الفجر
اسود .. الرجال .. النهر ..
خوات خطبتنا الاجساد التي هرعنا متسللة ، واحد اثر
الاخر ، .. وكانت القاعدة فوهة سوداء مضجبة ..
انا الراصد : هذه مهمتى ..
الاثنان اللذان يسرعان في الامام سيتوليان تنفيذ المهمة ..
والاثنان اللذان يتبعانها يتوليان الحماية ..
خضنا النهر النحيف الضحل : نغذ الماء البارد الى عظامي
واحسست برعشة ، ثم ارتجفت في الهواء الاسود ..
تخطينا الجرف الطيني وتموجت تحت اقدامنا اعشاب

- الضابط الجالس في تلك الغرفة ؟ ..
- انك مجنون فعلا .. لقد مكثنا بانتظارك .. هيسا
ادخل هذه الغرفة ..
- دفعني الى غرفة بيضاء نقية مفسولة ناصعة .
- افتح عينيك على سمتهما ، وانظر الي ..
ملا بندقيته بالرصاص .. واخذ يطلق علي النار ..
سقطت اخيرا على الارض البيضاء قتيلًا .. ولم تخرج من
جسدي قطرة دم ..

(رجال ينامون في البرد .. ورجال ينامون في دفة المدينة)
لم اعد ابصر الرفاق .. كان الهواء الاسود الثلج يصفر بين
الاعشاب النجيلية .. رفعت قلبي اليمنى على صخرة مراقبا
ظلمة واسعة لا نهائية ..

انزلق فجأة رصاص سريع متتابع ..

: رشاشات ..

توتر جسدي واصبح مركزا في قبضتي يدي ..

لم ابصر شيئا ..

(رجال يتحركون في مقر القيادة .. يشرحون التعليمات

بهدهوء وببطء وحميمية .. رجال يتقاطعون وهمس يهرون .

مدن مدن : شوارع .. اعمدة ضوء في شوارع خالية)

ضباب وجنود في الناحية الاخرى .

: أرجو ان تنجح عملتنا ..

تفوق انفجار خاطف على الرصاص ..

مدفنا .. انه مدفع الحماية

وعاد انفجار المدفع مكررا ..

(الموت والعبودية سواء .. ماذا سنفقد في حياة منتهية .

قد ننتصر فتملك شيئا وقد نموت ولن نلفد شيئا لاننا لم تكسب

سوداء ..

الساعة هي الخامسة صباحا ..

(اخير زميلي في الرصد ان الجنود الاعداء يكمنون فسي

ذلك الموقع في الساعة السادسة صباحا .. راقبهم عدة ايام

وتأكد من الوقت بدقة : كانت خطتنا : الاختباء في مواقعهم

والقبض عليهم)

- سنختطفهم ونفيد من معلوماتهم ..

: اذا لم تكشف مواقع عدوك فلن تستطيع القضاء عليه

توقفت ومضى الرجال في الضباب والظلمة ولم اعد اميزهم

بسهولة .

(كانت خطواتنا تنسق سريمة في شارع مهجود ..

قلت لها : الست حبيبتني .. دعيني اقبلك .. قالت دون

ان تاوي رأسها نحوي : لن ادعك ..

.. قلت لها : ساقبلك بالعنف ..

نفت : لن تستطيع ذلك .. لا يستطيع الطرف الواحد

فرض ارادته على الطرف الاخر

(دكاكين مضاءة بانوار باهرة ..

(نساء نصف عاريات في بيروت .. يسرعن

- أين هما
 - سقطا هناك
 ارتفعت في برودة الماء ..
 كنا نركض نحو القاعدة السرية وخلفنا رجل الحماية الاخر.
 - هل تأكدت من موتهمنا ؟
 انزلنا في فوهة القاعدة . وهب الرفاق الستة من اسرهم
 الارضية وهتفوا مستفسرين
 - أين (... أبو علي ومحمد)
 - هناك
 غيبتنا الظلمة في الصمت ..
 كان المدفع بين يديه وهو جالس على الارض .. سحبته
 منه وأسندته على الحائط ..
 - تكلم .. كيف ، كيف ؟
 - عندما وصلنا الى الكمين .. فتحوا النار علينا من مكنتين
 خفيين .. فصوبنا بأسلحتنا الخفيفة .. وكان بحوزة (سليمان)
 المدفع المضاد للدروع ..
 صرخت به : اضرب
 كان نائما فوق مدفعه متجمدا ..

نملك شيئا)
 (دم بعيد غير مبصر .. كنت بعينا لا اعرف هل سيعودون
 ام ستبقى جثثهم مماعة مرمية لا احد يجرا على الاقتراب منها)
 توقف الرصاص
 كنت عصبا متوترا .. الظلام كامل امامي وخلفي حفرة
 النهر .. جلست على الارض ..
 وكانت حرارة هائجة تغمر جسدي وانا انتظر ..
 : سيجيئون جميعا .. سنشرب الشاي وندخن وننام
 قليلا ..
 : انهما الحماية
 : اثنان فقط . أين الاخران ؟
 - هما
 صاح بي اولهما
 - اسرع ..
 ركضت بجانبه صوب النهر ..
 - أين همنا
 كان يحتضن مدفعه الثقيل ويركض
 صرخت به

وانصت الى الهواء الاسود وهو يعبر مصفرا خارج فوهة
القاعدة ..
وفي الصباح حدثت خارج الكهف ..
كانت الارض المنبسطة المسطحة حادة واضحة .. والبرتقال
الاصفر يشع من بين الأوراق الخضراء الكثيفة في الوادي .. وعبر
النهر .. كانت الارض بعيدة وجرداء يرتفع فيها جبل .. وكانت
سيارة منخفضة لكسح الاعغام تنهب سريمة مثيرة خلفها خيطها
ترايبا ابيض ..

ناداه (محمد وابو علي) : اضر ب
لم يتحرك ..
صرخا به : قتلنا .. قتلنا ..
زحفت اليه ودفعته . اخذت المدفع وصوبته الى اول كمين
فانهت ناره .. وصوبته الى الثاني
كانت نار (محمد وابو علي) قد توقفت
صحت : محمد .. ابو علي ..
وسمعت همسة بطيئة : لقد قتلنا ..
وكانت النار المقابلة تنزل وتغيب في زبد الجسد الممديس
وتتحول علينا
هتفت (سليمان) وكان لا يزال متحرجا على الارض
هيا نانسحب ..
زحفنا لننجو .. ولم نستطع سحب الجثتين لان نجسنا
للعدو بدأت تصل ..
: لو ضرب من البداية لكنا قضينا عليهم .. لا ادري لماذا
جبن مع انه اشترك في عمليات ناجحة سابقا .
دخل سليمان واختفى في نهاية المغارة ..
- سيحاسب ..

الخوذة

حرك الهواء الباب الخشبي ودفعه بعنف فدوى وهو يتغلق .
ارتج الزجاج الخشن الضخم الذي يفصل بين الغرفتين . وتذبذب
الظهر الأخضر خلف الزجاج ثم سكن .
الأوراق البيضاء المستطيلة فوق المنضدة . وفتحة الهواء
في السقف تقذف ، من جهات سرية ، عواءات غامضة . وعشرة
عيون تصعد من رقبتي الى ذقتي وصلدي .
في الطابق الثالث ، كانت غرف ايامنا الصباحية تمتد
الواحدة في الاخرى . مملوءة برجال ونساء . كانوا يتلامسون
بالفناء والرقص والحزن ثم يذهبون الى بيوتهم ظهرا ليعودوا في
صباح اليوم التالي .

- بالامس اشتريت قماشا .
تذبذب الاخر خلف الزجاج والتوى جسده على المنضدة
الغامضة .

وتحرك جسد آخر من الزاوية وصار بجانب الظهر المتموج
على الزجاج . انحنى ثم انسحب بعيدا واختفى . وقعت
الأوراق المتراكمة دون اهتمام . . فقد وقعت آلاف الأوراق هنا ،
في هذه الغرفة ، من قبل . وستاتي آلاف غيرها . فواجبي ان اكتب
واكتب . ثم يأخذون الأوراق مني .

وكانت رؤوس عديدة تمتد فوق منضدتي وهي تهمس

- كفف قوتك . يجب ان تملأ الأوراق .

امسكت بأحد الرؤوس

- يجب ان افرغ يوما من هذه الأوراق .

- عليك الا تفرغ منها

- سأمزقها وانشرها مغطيا بها المدينة .

تداخلت خلف الزجاج اجساد سرية عديدة ، متحركة ،
توضح ثم تغيب .

وتعود سرية في فتحة الضوء التوهج في زاوية الزجاج
المضلع الخشن .

- ماذا ستفعل

- سافر

مدت اصابعها النحيلّة الطويلة كأفاع قصيرة وطوفت
رقبتي . نزعته بعنف وطردها من الغرفة : وانتبهت الى عواءات
الفتحة الهوائية . وحين اُغلق الباب . امتزجت الاجساد المبهمة
مرة اخرى في حركات متقاطعة . تلتحم وتنفك . ثم تلاشت جميعا .

جمعت الاوراق البيضاء ووضعها امامي ورفعت عيني الى
عشرات الاذرع المشعرة .

كان رسفي يلتهب فوق المضدة .

: خارجنا يتساوى البشر . كلهم متشابهون *

ارتفعت نراع مبهمة في الغرفة الاخرى وامتدت . وضوضوت

الاصوات

- الشاي

- السرير

- الحصان

- دينار

- التلفون

- الحطب

انعرق يفتي جمجمتي . نهضت لافر . وفكرت .

سيمعني الحارس من الخروج لان الدوام لم ينته . وسيقول :

اذا كان لا بد لي ان اخرج فعلي الا اعود ابدا .

انسحب شبح في الزجاج وامسك بقبضة الباب وفتحته

فاتصلت الغرفتان وامتزجت الاصوات .

جلس الرأس الجميل بجائبي

الطيور ، العشب الازرق

سكنت ف .

: منذ مدة فقدت قدرة التمييز والانحسار نحو فتاة واحدة ..

الفتيات تساوين لدي عندما فقدت الحب . واضحت الواحدة

محطة تنتهي أثرنا عندما تركها ..

هاتان الفتاتان تريداني

ترجبت ف فاخترقتها نظراتي

نهضت الفتاتان في الساحة الترابية الخالية . كنت اجلس

على الحافة ارقبهما .. اقتربنا . ووضعت كل منهما يدها في شعر

الاخرى واشتعل الصراع بينهما . تخدش وجهاهما والتفت على

الاصابع خصلات من الشعر .. ثم اقتلعت ن العين اليمنى ل ف ،

وتركتها تسقط على التراب الاحمر .

حدقت بعين ف وفكرت : اللعبة تجاوزت الطرافة صحت بهن :

كفى . كفى .

اتكأت ف على المنضدة امامي .. وكانت عيناها سليميتين ..

وتحسست صورة ن في جيبي . الشقيتان : تبا لهما .

- ينبغي ان تتزوجني ، فقد انقطع الطمث . اننى حامل .

: حاسم !

: ماذا يعني حملها . ربما كنت السبب في حدوثه ، لكن

انتزعت اغفاءتي المنبهة في الصورة الصغيرة ل ن .. وشعرت
بعيني ف تتوقدان بتركيز في راسي .. طويت الصورة ، وبرفنى
دسستها في جيبي .. قالت :

ارني ذلك الشيء الذي اخفيته ؟

مسست ذراعها وحدقت في عينيها ، برقة :

- انها ورقة خاصة .. لا تهلك ابدا ..

- ف شريرة ودمايتها تجاهك زائفة . صدقني . لست نظري .

ف ما زالت تتفحصني

امتت ن بدون ضجة : ثق .

امحت ن عندما شدتني ف : اتك الرجل الذي اصنعه كل ليلة

لن اتحمل نتائجه •

مسست الصورة في جيبي •

ن ايضا حملت . لكنها خيأته ورحلت به . لم تقل لي مسد
يدك والمسسه وتأكد منه ثم التصق به . كانت تترك ان الطرف الاول
يجب الا يزعج الطرف الثاني . لم اقل لـ ف ذلك . فلا اريد اولاً
كشف علاقتي بـ ن . ثم لانها تحمل جنينها بخوف .

– سيجيء واحد ، ان لم تتزوجني ، ذات يوم ، ويرفع

ثوبي . سيصرخ به الجنين •

حدقت بالرقبة اللزجة والسكين تدخل في القصبه الهوائية
مفتحة الجلد الرطب عميقاً. وخيط رفيع احمر يلتمع ازاء النصل .

– ف لن يقتلك احد . فالنساء يستطعن اخفاء اشيائنهن

– انك تتخلص مني •

الماضي هنا هو الحاضر والمستقبل : شيء مخيف ان يكون

حاضرنا ومستقبلنا ماضياً •

: الى الابد تنتهي الحركة السابقة ولا اريد ان الصق فيها •

انني اعرفك الان وعلاقتي الماضية انتهت •

: ن في حقل للرز في الصين تحمل بطنها المتورم • ن في كوبا

تصبر اعواد القصب وبطنها منتفخة . ن تحمل مكثسة تنظف درج

فندق في الولايات المتحدة وهي منحنية على بطنها .. ن تتقيس

المطر الاستوائي وامامها عشرات الزوج العراة يقفزون فوق اشجار

افريقيا .. انها مشغولة به في نهار العالم وليله .. وانما انفصل عنها .

– انفصلي يا ف . وافعلي ما شئت بجنينك •

سحبت ف آلة حادة صغيرة ، وارادت ادخالها بين اضلاعي

امسكت رسغها واسقطت سكينتها ••

التوت فوق المنضدة وهي تبكي •

دخلت ن الفرفة وسحبت ف من كتفها بعنف وغيبتها خارجاً .

مسست الصورة • وكانت ف تبكي •

– ساعود ثانية لتتفق . لن تتخلي عني . قل لي لــــن

تتخلي عني •

– اتركيني وشأني •

– لن تتخلي عني •

وانصرفت ببطء ملوحة بكلماتها •

نهضت في الفرفة الرمادية عابراً رباشاً صفر .. وامسكت

بالتلفون المرن ..

– اناب •

– عرفتك •

القارب

: التاريخ طبقات من تراب متراكم .
اشتغلت بحمية في الحفر والتنقيب . اخترت تلة مغطاة
بالقحوف الطينية الجافة المكسورة : انها علامات الحضارة .
- الوجوه تكشف سرها ، والأشياء تنفذ اليها وتزن ثقلها
فتسقط جميعها امامك له وتبقى وحيدا شامخا .
أشار مساعدي وهو من اهالي المنطقة
- لنحفر نقبا في هذا المكان .
رفعنا مولينا وابتدانا الضرب . تجمعت كومة من التراب
الصلب . انحنى مساعدي وتقلها .
قلت له

- انني وحيدة . هل تاتي الي ؟
- انتظرتني .
علقت التلفون . وارتديت معطفي . ثم اغلقت الباب.
ومضيت ..

استدار المساعد ومضى نازلا . كنت اراقبه الى ان اختفى
في القرية .

اوقدت المصباح ووقدت على الفراش النعيف .
- اتوحد الان مع التاريخ . انا متحرك وهو متحرك في سكونه
معي .

**: كل شيء يهرب الى الظلام يتوحد فيه ، ما عدا يسدي
المتهمتين**

اسكت المصباح وخرجت الى الثقب . دليت النور فضاءت
الحافات المعتمة .

عدت بالمعول . ثم هبطت الى القاع .
- امامي الظلام بكامله .
كنت واعيا بحدة .

وكنت اغرز بفرح ذلك التراب الذي تبلل وراح يتفتح بمعولي .
رفعت سلالا كثيرة . ثم رن المعول . ازلت التراب ولمست
صخرة .

- وصلت الى موضع ما .
صعدت الى السطح وتنفست هواء باردا ثم شددت المعول
وعلقت النور على خشبة غرزتها في جانب الثقب . كانت الصخرة

- لقد حفرنا مئة سنة .

ضحك ببلاهة ، وانتشى بضحكته فلوى معوله برفاه .
قلت :

- مئة سنة . مات فيها ملايين من البشر ، وولدت ملايين
جديدة . وفي يدي حفنة من تراب . يا للمعادلة !!

كنا منحنيين عرقين والقرية التي جئت منها بهذا الرجل
منسرحة بعيدا

- ستدفع لي اجرتي كل يوم .

- سادفع .

- شيء ممتع ان تثقب الارض فقط لتحصل على المال .
حدجته بغضب فكف وجهه المنفض عن الحركة .

: يتساوى هؤلاء كلهم ، وما عليك الا ان تراقبهم وهم

يرفعون معاولهم .

اصبح الثقب عميقا اسود . رفعت سلة التراب ورميتها
فوق التلة الجديدة الصغيرة وناديت المساعد . خرج من الثقب ،
قلت :

- سننصب الخيمة ثم يمكنك الذهاب .

: انه يتهيج اذ يلمس النقود ويسمع صوتها .

أنفرت في التراب البارد .
- لن أجد الطريق . عسى أن يعود المساعدمبكرًا ليعثرعلي .
وكان الهواء احزمة معدنية تشد وتضيق على جسدي .

ترن .
هويت عليها بعنف . انزلت الصخرة . وكنت منثنيًا خلفها .
منسحبًا في الظلمة .
كانت يداي مملوءتين بالتراب . نفضتهما ولمست جسدي .
ثم نظرت الى السقف . الصباح يحيط الحافة العليا بنور
اشقر غامض .
اخلت اتمس الارض بجانبي . زحفت الى اليسار وتصلبت
حافة سلم تحت يدي . استندت وانزلت قدمي الاولى بحرص
وضفطت على الدرجة . كانت صلبة فانزلت القدم الاخرى .
هبطت درجات كثيرة وانتهى السلم الى ممر . الهواء ثقيل
عطس .
- ستصيبني هذه القناة من الهواء الفاسد .
مددت يدي لافتح طريقًا في الهواء الثقيل . ارتطمت بجدار
رجعت فوجدت ممرا جديدا فدخلته .
اشتد ثقل الهواء . وتحول الى قبضات تعصر رئتي .
- ينبغي أن أعود الى الفوهة .
كنت اتخبط في الممرات .
- ساهوت قبل خمسة الاف سنة .

- يا بني انبه . ينبغي ان تنضمي لتحصل على امتيازات المشاركة في الاشياء . خذ هذه الورقة اقرأ الشروط ثم قدم طلبا فيوافق عليه الاعضاء . وسأرفع يدي لك بالتحية عندما تجيء . امسكت بالورقة فاقفل الباب . طرقت !

انفتح باب سيارة ونزلت منها ثلاث فتيات مرفهات . تقدمت منهن مبسما وحييتهن . تحين بازدياء فمرقت الى الشارع .

- انني صامت في مواجهتهن . وانا ما تكلمت سأجعلهن يحضرن الى غرفتي ، عاريات ، يهرعن الي من بيوتهن البعيدة . الشمس تعكس القير الاسود واقدامي تفوص خفيفة فيه . وجسدي ينفرد لرجا بالعرق الكثيف .

- السيارات تقف امام النادي . ينزل الاعضاء ثم يدخلون في قنوات الاضواء الشفافة .

امتلا جلد الحذاء بالقير واخذت اقتلع خطواتي .
: لا اطيق ان ارى فتاة تجب رجلا غيري . انى اكرهها .
وشرطي ان تلحق بي جميعهن .
فحصت ورقة النادي .

الساعة تقف على الصفير

- هل انت عضو ؟

- كلا .

- هل لديك اوراق تثبت انتمالك لهذا النادي ؟

- ليست لدي اوراق على الاطلاق :

سوى البواب بزته الرسمية واثار بسيابته

- اتبع هذا الطريق وستصل الى الجحيم .

ودفع الباب بقدمه ليقلعه . منعت ذلك بقدمي . نفذ

صبره فقال :

- الم اعلم . لا حق لك بالدخول . ماذا تريد ؟

- انا مواطن . سمعت ان النادي مكان جميل فدعني ادخل .

الخيول تركض والفرسان يضحكون

كانوا يتقاطرون : من الواحات ، وضفاف الفرات ، والقرى
الصحراوية .

لوريات مملوءة بالبدو والفلاحين والتجار والمهربين تزحف
الى المدينة : تطلع من رمل الصحراء المحيطة بها .
الفسر البيض والحمر والزرق تنسدل من الروعوس على
الظهور ، والبنادق على الاكتاف .

الخيام طويت . والجمال المضيئة تزحف .
كانوا كثيرين . وجوههم شاحبة متوترة . ينطوون في
الظلام .

- ثمة امر مبيت وخطير

- يا لشروطهم القنطرة .
اسقطت الورقة .
وعند مفترق الطرقات في نهاية المدينة خرج جندي من
الكوخ الخشبي .

- تمال . اين تمضى ؟

- لا ادري .

- هذه الطرق تؤدي الى الخارج . انني جواز سفرك .

- لا املكه .

- ادخل هذه الغرفة . ستمر الدورية فتأخذك للتحقيق

- ههاه . ههاه .

تحفرت الامواج . وصرخت اصوات
- سنعيد العمامة الى رأسك .
استطالت الامواج . واختضت .
توقف القاضي . وتوقف اثرياء المدينة الكبار على جانبيه
وانتظمت الامواج خلفهم .

- ٣ -

كانت مقرات التجمع التي يمتقونها في منطقة واحدة
متقاربة ممتدة في الشارع الرئيسي . وثمة مقاه صيفية بجانبها
محتشدة بالكادحين .
تباحث رجال المقرات القلائل في اللبنة الماضية عن الزحف
الذي جاءهم من الصحراء .
هؤلاء الذين لا يملكون شيئا في هذا العالم . خدعوههم
وجاؤا بهم . اما كان الاجدر بهم ان يسحقوا الذين يسلبونهم
حتى اجسادهم . الفقراء يقتل بعضهم بعضا .
المقرات اقلت ابوابها . والمقاهي تحفر فيها الرجال .
زحف القاضي وخلفه الامواج ترفع سكاكينها وبنادقها الى
السماء .
اتمت الروعوس على سطح المقهى تحلق بالفتسر .

- ٤٥ -

اندلع الكلام بين عدة رجال يحتلون سطح مقهى .
- الجميع بالانسداد .
نهضوا وتفرقوا في الطرقات . وانطوا مع الفتر البيض
والحمر والزرقي .

- ٢ -

مكبرات الصوت تغمر المدينة بالصوت المستسق الذي
يهوي من المآذن الثلاث .
ايها المؤمنون . هل ترضون لله ان يسقط .
البنادق بجانب الاجساد المتربعة على الارض والممتدة
كالامواج في الباحة الضخمة .
ارتفعت الروعوس الى القاضي مفتوحة الكفين ، منفرجة
الى الاعلى .

- من يقتل يدخل الجنة
تطلعت الامواج وارتطمت الوجوه الغريبة بالاف غيرها .
اليدى تشد البنادق والخناجر .
صرخة القاضي جمعتهم من قراهم البعيدة : وها هو
يختتم خطبته ويشرك المنبر فتتفرج الامواج ويتقدم هو بينها .
خلع عمامته على باب الجامع ونشرها على كتفيه .

- ٤٤ -

المعادلة

اتقذف لسانه خارجا ، ماسحا شفته العليا .. وسطح
صوته :

- لك علاقة بزوجتي ؟

اجبتنه - ذكرت ذلك .

- اقنعني .

- طيب .

اخرجت علبة صور كنت التقطتها بالة توقيتية ، اعطيتها له ،
واخذ يفحصها ليتأكد من عدم التزوير ، ثم رفع رأسه

- ماذا تريد الآن ؟

(: ماذا ؟)

- انهم كثيرون . اذا وصلوا سيحطمون المقرات ويضرمون
النار في الكتب والاناث ، وسيصيدوننا في الطرقات برصاصهم .
كان الشارع متحركا بالفتنر الغزيرة .
رفع احد الواقفين في المقهى الصيفي يده . واطلق عيارا
ناريا . تركز القاضي والفتنر .
حمل الهواء طليقين اخرين . ثم اربعة . ثم ستة .
ضحك رجل في المقهى .
- القاضي ينقلب راكضا متدحرجا في نهاية الحشود .
استدارت الحشود وانطوت في الازقة وفي دروب الصحراء .
- اين بنادقهم . اين بنادقكم ايها الجناء .
انسحت الفتنر والبنادق من الشارع الرئيسي . ومن
مقهى آخر في نهاية الشارع مزقت الهواء الجاف الراكدرصاصات
قليلة .

استدار حشد صغير فارا الى الخلف .

نزل الرجال من القاهي واتجهوا نحو الحشد الذي انحصر .
كانت الفتنر مبللة بالعرق والغبار متفرقة في الاتجاهات ، والايدي
سقطت منها بنادقها وسكاكينها وهي تحمل ارتجافات متصلة .

: كان يلد لي مراقبة الاخرين في ارتياكهم ، غير ان هذا
الرجل جاف للغاية . اخذ هو يطبني باهماله الازلي . . اصبحت
مضطهدا .

- انك تقسو علي .

قال

- وحلك تقيس الالم وتتحمل المقدار الذي يلائمك . كل
المواقف خاضعة لك . .

وتناول صحيفة وجعل يقرأ باهتمام

: انه يزداد اهمالا لي .

تحركت نحوه . . رفعت الجريدة من يديه ودفعت قبضاتي
في وجهه ورأسه .

تراخى على المسند محتيا جلعه الاعلى .

قلت له

- ارفع رأسك .

لم يجب

وخرجت ببطء شديد .

- لست ادري

- اذن لم حضرت ؟

دفع تجاهي العلبة

- ضعها في جيبك . واخرج .

: انه لا يشور . لا يشب لقتلي . . ربما سيقتل زوجته ؟

- ستقتلها ؟

- لا . .

- اذن اخبرني عما سيحل بها .

رأسه الثلجي لا يتحرك وسكونه هذا يضطهدني . لن يصرح

طير الدم في رأسه ، كما يقولون .

فتحت العلبة وقلبت صوراعدة . وضعت واحدة منها امامه .

- انها جميلة هنا .

- صحيح

ووضعت اخرى في عينيه

- وضع قبيح هنا .

- ليس كثيرا .

انه لا يتحرك . طويت الصور ونثرتها امامه . نظر اليها برتابة

- ليس من رجل في العالم لا يشور لانتهاك املاكه .

سهرة تحت غيوم الصباح

المشهد ..

ساحل على بحر ممتد . الساحل والبحر عاريان بصفاء .
وثمة رجل مغطى جسده بالرمل ورأسه منتصب تجاه البحر
عكس الشاهدين ..

الرجل المغطى - تكون سعيدا ، ايها السامع ، وغير الموجود
في الوقت نفسه اذا انتبهت فجأة وابصرت نفسك وحيدا : صافيا
الى ما لا نهاية .. تقياً كعجنون . ومست المسافة التي تفصلك
عن الآخرين .. واحسست بطول السنتمتر الهائل الذي يبعدك
.. (صمت قصير)

ايها السامع غير المرئي .. يا من تمتلك كتلة تماثل كتلتي
وتمتلك وعيا واحساسا يضارعاني .. انت غريب عني وانسا
غريب عنك ولن يعرف احدنا الاخر ابدا مهما افصحنا عن
افكارنا واستطناها في مرآة الوضوح .. ومهما فتحنا ابواب
قلاعتنا لندخلكم منها ، فهناك ابواب مرية تظل مغلقة : شئنا ام
ايينا (صمت)

اذن ، ما بقيت تلك الابواب محرمة فلن يعرف احدنا الاخر

- ٥٠ -

ويبقى غريبا ايها السيد السامع ، غير المرئي (صمت) كل منا
يقايل كي لا ينتهك .. الافراح والهموم تطويها في اعماقنا
ونحرسها لانها متاعنا الروحي : ايها المتاع العفن بك يقيد الانسان
ويفقد حركته .. (صمت)

يدك هي القيد .. مدها الى احدهم فاذا استلمها فقد
سقطتما معا .. التفصيلات هي الدوامة التي تجتمع في مقرها
كل اجساد الارض . الاجساد المؤهلة للنار ..

ايها السامع ، غير المرئي .. ان مؤامراتك القدرة الصغيرة
التي تخلقها مع الاخرين تبيك جسدا ، حقيرا ، معدودا برقم ..
في هذا المنزل ستة .. في الشارع مئة .. في المدينة مليون ..
في الدولة عشرة ملايين . اذن فرقك قد يكون ٧١٠١٠٥٢٦ .
(صمت)

لقد تجردت طلعائك وانسايتك ووجودك واضحيست
جسدا وجلدا غير مميز : الاجساد تتساوى في الظلام (صمت)
ايها السامع : نحن بعيان .. قد نحدق ببعضنا في منمطف
او في سيارة عملة .. لكننا سنغيب . وبينما اكون رافعا رايتي
تكون انت بلا راية ، بلا تاريخ يؤهلك لان تكون مواجهي لي ..
ايها السامع غير المرئي : ربما اشفتك عليك حيننا من الدقائق ..
قهل يجدي !!

- ٥١ -

انك تفكر بان ظلك الذي تجره خلفك تصنعه الانواء الجوية .
ولا تفكر بانك انت الذي يصنعه .. انه انت وليس النوء ..
هكذا يجب ان تكون والا فلن نلتقي . (يشق نهاية البحر زورق
مملوء بحشد من الاجساد .. يقترب من الرجل المفقود . يصل
الى الساحل ويقفز منه رجال ونساء كثيرون يواجهون الرجل
المدفون) .

واحد من الحشد - ابصرنا هذا الراس النابت من الارض .

هل انت حي ايها الراس ؟

المدفون - (سكوت)

امراة - هل لك اطراف ؟

المدفون - (...)

امراة - لنقلعه من الارض . ربما كان له جسده

رجل - قد يكون بلا اطراف فنجعل من وضعه بين الناس

فجاء الى هنا ودفن نفسه ..

امراة - وربما ..

رجل - كنت اعرف رجلا سحقته اطرافه عربية .. ضجرت

منه زوجته فحملته في حقيبة ضخمة وطوحت به في النهر .. ربما

كانت زوجة هذا رقيقة فدفتته ليتأمل البحر قبل ان يموت .

هل تحب البحر كثيرا ؟

- ٥٢ -

- ضحك -

- تنحني امراة وتزلق اصابعها في شعره -
المرأة - انه جميل ، عيناه جميلتان وعميقتان .. ليتنسي
اعرف حيا مثله لكنت احببته . هل انت اخرس ايها الرفيق
المتبست .

رجل - انك تكلمين حجرا يابسا . انا اعرف هؤلاء . ان
عاهاتهم تخولهم امتياز خرافيا بايذائنا : ايها الشقي التميسر :
يا حنالة افراح البشر . اني لن اشفق عليك . لكنني اخاطبك
بالفة معينة وان كانت ضئيلة .. هل تريد ان تأتي معنا .. لن
تنقل علينا ، واذا ضجرت فأطلب منا ان نرمىك في البحر
وسننفل .

المدفون - (سكوت)

الرجل - سيخلق المنا موت انسان وحيد على ساحل بحري
مهجور . هل اخترت موتك ام اجبرت عليه ؟

امراة - انه ينظر اليها بازدراء .. ويخيل الي انه قد
فهمنا .. وهو يستطيع الكلام . لماذا لا يتكلم ؟

- تنحني عليه وتقرصه من شفتيه وخده -

المدفون (يصرخ) : ارفعي يلك ابنتا العاهرة .

المرأة - بفرح - : انه يتكلم . يتكلم

- ٥٣ -

امراة ثانية - لنعمل على اتقاه . . سأرتب إذا كانت له
 رقة فقط تحت التراب . هيا ايها الرفاق اتقوه .
 (ينحني الرجال عليه)
 المدفون - ايمدوا ايديكم الملوثة . . ايمدوها ايها الخونة .
 لا اريد ان تلمسوا ما يخصني .
 رجل - لكنك تدفن نفسك - ستعوت ببطء .
 المدفون - ماذا يهمك من امري . . انا وضعت خصوصياتي .
 فلا تلمسها . . هب انك لم تربي . فهل كنت ستشقق علي
 وتقلني . اذا اردتم مساعدتي فدعوني وانصرفوا .
 رجل - انا واثق من جنونه . . لننصرف .
 رجل اخر - ما دام الامر قد كشف نهاية سيئة وما دام
 قد رفض موعنتنا وطلب منا تركه علي جالوه ؟ فلننصرف .
 رجل اخر - هيا ايها الرفاق . ان البحر يدعونا وثمة
 منع عديدة في مرافئ كثيرة تنتظر .
 - يتحول الجميع الي المركب . . تتخلف امراة .
 رجل - يناديها - هيا يا فتاة . اسرعي .
 الفتاة - سبميك هنا .
 الرجل - هذا سبائك . تذكرني انك ستندمين فلن يبرج
 احد الي هذا الساحل المعزول . ستنقطعين عن حركة العالم .
 - ٩٤ -

الفتاة - وداعا .
 (يشق الزورق البحر متضاللا)
 الفتاة - تنادي الراس - : ما يدهشني انجذب فيه . وابت
 ملائتي بالدهشة : الاشياء الممكنة التفكك الي رموز تجعلني احني
 رأسي وادخل فيها والنفي كل اللافئات المانعة والحواجز الجاهزة
 لصدنا عن تحقيق تقدمنا في شيء الي نهايته . .
 المدفون - يبدو بإمكاننا ان نتكلم سوية .
 المرأة - ذلك ما تدفق في عندما شاهدتك .
 المدفون - من هم هؤلاء الذين جئت معهم ثم مضوا .
 المرأة - انهم فتيان يعيشون بنفسمهم وعضلاتهم . اسقطوا
 تاريخهم وعوائلهم القديمة ومدنهم . رفضوا انتظار المستقبل .
 انهم يعيشون حاضرا خالدا . يعملون ما يستهويهم ويتركونه
 ينزق اذا ما ضجروا منه . غريباء يجمعهم الزورق . اذا ابصر
 كانوا فيه . واذا غرق غاصوا جيمهم . يا لها من وحدة قاسية
 غير اختيارية كنا نعيشها . هل انت بخير ؟
 المدفون - طبعاً .
 الفتاة - هل وضعت نفسك بنفسك تحت التراب ؟
 المدفون - يقينا .
 الفتاة - لماذا ؟

المدفون - الخطأ . اعتقادهم اني سأقتل تحت التراب .
فحتى في هذا لم يعرفني احد . لقد دفنت نفسي اختيارا لاختر
قدرتي على فحص قوتي . قوت ان احبس نفسي اسبوعا في
التراب لاكتشف قوة جوعي وعطشي وجنسي . لم افكر ابدا
بالانتحار (صمت) عندما ينتحر الانسان يفقد نفسه ويبقى العالم
كما كان . لن يتغير شيء . فلماذا نمر انفسنا هباءا . ولسنا
نملك غير انفسنا : الاغبياء هم وحدهم الذين يقدمون انفسهم
بتفاهة الى الموت (صمت) ان التفصيلات التي نعيش في حركتها
وما تخلق من متاعب لهي اصغر من وجودنا . اننا نستطيع طرحها
ونستمر (صمت) نحن الذين نطلق ونحن الذين نفرز الوقائع
ونلهبها بخيالاتنا .

الفتاة - هل وجدت شيئا ؟

المدفون - احاول ان ابعث لحيويتي قوى جديدة في هذا
العالم الذي تشبث الاجساد فيه لبناء امجادها الزائفة : رغم
انني امقت الجوع والعطش والحرمات .. احيا كوتى لا اجسد
ما افعله سوى الاستمرار في الحياة .

الفتاة - ستضطر الى السير في الاثقة المعتمة التي يخشى
الاعتيادي المرور فيها وتعيش في غرف تمنع الاصوات والمقابلات .

سننحصر منعزلا نحمل انقائك وحيدا .

- ٥٦ -

المدفون - ان لك ان تصمني . سأضطر لرميك في البحر .
الفتاة - لماذا ؟

المدفون - لانك بدأت تخرجين لسانك من الدستور !
(صمت) في الوحدة المقدسة يكتشف الانسان كيانه برمته
ويكتشف موضعه ويكشف العالم الموجود فيه .. حينئذ يستهاوى
المؤامرات والطموحات البائسة . (صمت) . سينفرد راقبا
ممتلئا بالوهية جامعة .

(دودة ضخمة تثب من ثقب ، وتمر ببطء فوق وجهه
المدفون ثم تنحدر الى الجهة الاخرى وتمضي في التراب)
الفتاة - ألم تر . انك لم تستطع الدفاع عن نفسك حتى
تجاء دودة .

المدفون - هذا ما اردت ان اقوله . انها لا تختلف عن
معظم اجساد هذي الارض . تمر بك وتكاد تسحقك لكنك
لا تماك الا ان تبعدها برفق لئلا تلتصق بك باذاها الابدي . ان
عذابي يكمن في اني اعيش في مستقبل الحاضر . لا في الحاضر .
الفتاة - هل تأذن لي بازالة التراب عنك .

المدفون - لا بأس

(تخلع التراب عن ذراعيه ويأخذان سوية بظع الكتلة
عنه - ينهض بملابسه الكاملة النسخة)

- ٥٧ -

الجلد ، القوس

حددت الجسد الإنثوي المصعب الذي كان يصر على التسلسل
مراعشا غير انني لم استطع تفسير حركته الى غضب او
استسلام . وعندما كانت تبعد ، تتوقف بيقظة هائجة ، منتظرة
يدي الزاحفة اليها ، وحين تستقر كتلة جسدها بين اصامي
المتعددة ، وتهتز وتزيلي .

انتهيت الى اننا كنا نتطارد مبثا .

قلبت لها

— انت تسجينني في الفراغ . اقول لك للمرة الاخيرة :
بوقفي ولنذهب سويا . او لنفترق الى الابد .
اطبقت جفنيها وصار وجهها جلدا محببها بلا عيون ..

الفتاة (مع نفسها) — كما كنت احلم به .

المدفون ، ماذا قلت ؟

الفتاة — سأجعل لك كياني غرفة سرية تنتشر فيها، تصخب

تفني . تروح . تعزى بصفاء وتنام فيها .

المدفون — لماذا امانع ؟ الامور كلها سواء

الفتاة — انها تختلف وستجد ذلك .

— المدفون يضحك مستخفا ثم يقول —

— انك جديده وهذا ما يريد المسألة بلبسة . ان اقع في

التباس .

الفتاة — هل نعود الى المدينة

المدفون — هيا

(يطبقان كفيهما ويسيران ببطء . يهبطان من المبرج ثم

يمران بين المشاهدين يتؤدة وهما مشغولان لا يجبان باحد . ثم

يختلطان بالجميع)

(صمت)

كانت تمشي خلفي محذبة رأسها للأرض .
(استطيع ان اؤكد انني شعرت بالانفصال يتوسع بيننا
-أسعاً الانعطافات نحوها)

امتدت الاشياء واحسست بوجوداتها الثقيلة المميزة وهي
تتنصب امامي متحدية وجودي .

وانتهت الى ملامسة للرامي نصف العاري :
كانت تنزل رأسها الى جانب ذراعي وتمسه :

(رأس اشقر منحدر ، غائب) .

- لماذا لحقتني .

- انها صامتة ايضا : ذلك مغز .

(ماذا يهمني ..)

كنت غائبا .. وكانت تسير مع جسدي ، بصمت حاد .

وانهمكت في صمتها الكثيف الذي ذبذبتها الانسانية ..
: ما هي هذه العلاقة التأمرة ؟ انه تماس افعله وانامدهش

منه ، بل استغريه .. لماذا استمر في هذا التواطؤ القدر ؟

كان الجلد المحذب واضحا امامي .. وضعت كفي على

ذراعها وقلت بحزم

- لانه هذه المطاردة ونفترق .

لم تحرك .

استدرت ومضيت في الطريق الضيق الى الخارج .

(منذ سنوات توقف نمو الحب في داخلي ، وانتهت اهتماماتي

الرأسية تلك العاطفة حجرا صغيرا ، صلبا مجهولا)

: يبدو انها توقفت . ماذا تفعل ؟

اردت ان التفت لارى ماذا ستحدث .

- انني اتواطأ من جديد اذا التفت

: (لكني اغرم ، احيانا ، بمعرفة النتائج)

: (لا بأس ان التفت عنقي يسيرا لابصر بجسأب عيني

ما تفعل ، دون ان اجعلها - اذا كانت ترصدني - تظن انني

انظر اليها) .

- لا استطيع الا ان ابرر . واني من الضعف مع الفتيات

بحيث لا اتمكن من طردهن مباشرة .

حدثت في المرأة .
 - أيتها السحنة . كم يودك هؤلاء القتلة .
 أقفلت الباب من الداخل . أمسكت وجهي وغيبت كل شيء .
 فيه ولونت جلدي .
 هذا لهائي .. وأخذت اغني .
 انتبهت الى صوتي .
 - الصوت لم يتبدل
 صرخت . همت : لم يتغير .
 (- سابقى صامتا ولن يكتشفوا سحتي الجديدة ،
 تركت الفندق ومررت بواحد كان يعرفني . حدق بي ومضى .
 انتشيت . وانتبهت الى رجل يمشي ازائي .
 - كم الوقت ؟
 - لا ادري .
 - لماذا لا تلبس ساعة . ينبغي ان ..
 - اصمت ايها الكلب . اتركني .
 - انك تشبه الي .
 وامسكتني من ابطي وهو ينادي
 - ايها المارة . هذا الرجل يشتمني
 تكذسوا علينا . وأخذت انصب عرقا .
 - ٦٣ -

الصيدون

استحالت قدمي الى فضاء صلب ، تصعدان وتبهطان
 على صحراء شاسعة .
 اختفت تقاطعات الاضواء وضجات الالات والناس ..
 (كان جسدي مدينتي الوحيدة التي ظلت بعد انهيار
 المدن الاخرى) .
 احدهم الان يركض ، بعيدا خلفي ، يبحث عني في الوجوه
 الكثيرة ..
 اختفيت وراء زجاجة مقهى وراقبت الطريق : وعبر هو
 مسرعا .
 عدت من الجانب الثاني .
 وجاء آخر من امام فاتحا لي ذراعيه . استندت وفررت
 وقابلني آخر ..
 كانوا يتقدمون جميعا من امام وخلف . عشرات من الرجال
 والنساء ليحاصروني .
 مئات الاذرع المشعرة والاذرع اللساء .
 آلاف من الاصابع المقوسة تجاهي .
 كنت محاذبا لفندق ما .. فقفزت على السلم ودخلت احدى
 الفسرف .

الحقائب

انفرز حداؤه في الوحل المنطى بالتبن . قاس كتل الاشواك
والحشائش البرية المرتفعة ، ثم مد قدمه في خط نحيف عار .
: انهم هناك خلف النهر ينتظرون في اكواخهم السرية .
سأفحص بنادقهم ثم نشعل النار في غابات القصب .
انه يمضي . كفاه طليقان دونما حقائب وجمجمته مملوءة
بالاشبارات .

: انزل من القطار في مدينة (س)

: استقل زورقا الى النقطة ل

(ستجد الطريق الى الاكواخ)

اقد تركه البلام في النقطة المينة

: ستقودهم .

: تعلمهم متى يطلقوا النار ومتى يوقفونها .

(ثم تنشر الثورة)

اصداؤه الذين سبقوه كتبوا اليه ان الريت بانتظار من

صرخ الجميع وهم يرفعون قبضاتهم .

- اعتذر له .

- لا تمجلوا . فهو المسيء .

- هذا لا يقتعنا . اعتذر له .

واقتربت من اذني فتاة سوداء الشعر

- سينفكون بكلمات قليلة . والكلمات : يا صديقي ، هواء

لا ينتهي .

كانت عيونهم تملأ جسدي وهم يتكاثفون .

قلت له .

- اذا كان يرضيك الاعتذار ، فخذة .

- الان .. اتركك .

توردت سخنة الرجل وانصرف ، وتبعه الحشد . ظلمت

الفتاة السوداء الشعر واقفة . وقالت .

- هذه هي مدينتك . لا تفعل ذلك

- لا مدينة لسي .

- انها مدينتك القديمة والابدية . لنذهب الى بيتك . هيا .

كانت ساقاي متخشبتين ومنفصلتين عن بطني . كنت

متعبا للنهاية . فسقطت مغمى علي بين ذراعي الفتاة .

اصبحت اقدامي طيورا

- استدعاني مدير الاستقبالات .
- في الغرفة المجاورة ثلاثة ضيوف جاءوا لرؤية مدينتنا .
- حسنا .
- سهل لهم كل شيء . فرضاءهم يعنى ان مدينتنا جميلة .
- كان الضيوف الثلاثة مستفرقين في انفسهم .
- توقفت قليلا قبل ان اتى اليهم بالتحية .
- اداروا الى وجوها جافة . وعرفت اثنين .
- ايزنهاور وسارتر .
- وشزرت الاخر مستفهما . فادلى بصوت مخائل .

يسكبه ويشعل النيران . وعليه الان تحويل كتب الثورة التي
يديه ورأسه : الثورة الحارة التي تناسل في جسده منذ ان
تحرك الى غابات القصب

: النار هي الولادة النظيفة .

تكاثف الشوك الاخضر واصبحت الارض اكثس ليوثة ،
وامتدت كتلة الطين اللزجة تبقع اطرافه السفلى . بحر القصب
ساكن وايدبه ساكنة .

وانتبه الى كوخ مخفي

- وصات اخيرا .

استعجل خطاه في نشوة عثوره على الكوخ

- ساستريح قليلا ثم اجمعهم

تثبت حذاؤه في كومة الطين ومن خلل القصب تشرعت

قبعات صفر .

- انهم ينتظرونك ، ولكن ليسر هنا . انما في مكان بعيد آخر .

تقبت جسده رصاصات كثيرة .

تقدمت القبعات الصفر والتمت فوق جثته . حملته ايد

عديدة وقذفت به في النهر .

كان الرجل مسافرا من جديد . ودونما حقائب ايضا .

العتمة بدفئها البخاري . اما سكان هذه المدينة ايها
السادة ..

- ما ههنا .

- قفوا .

- قفوا .

الدور اختفت . النهر اختفى .

ملايين الاجساد مطروحة على الرصيف الممتد الى
غير نهاية . وئمة كتلة شفافة شاسعة من الفبار ثاني من
الجهة المقابلة وتطمر نهايات الاجساد المرمية

- ايها السادة . نمة امر غريب يجرى . لنعد الى مدير
الاستقبالات .

التفت وكانت دائرة الاستقبال قد اختفت ايضا . وامتدت
الارض الصحراوية الخشنة الى الابد .

- لتترك هذا المكان .

احتج واحد من الثلاثة .

- هناك مناج لنا . لقد جئنا الى المدينة ولن نتركها
قبل ان نخبرها .

- ولكن يا سادة ارجو ان تلاحظوا ان الامر قد اختلف .

- انا النبي ب

اشرت الى الباب

- تستطيعون ايها السادة القاء نظرة على مدينتنا .

والتقى الثلاثة على الباب برهة ثم انفكوا مبتعدين .

اشرت الى السيدين ايزنهاور وسارتر .

- انكما لم تزورا مدينتنا من قبل . اما السيد هنا .

فهو يعرف بعض الاتهام التي مرت من هنا منذ الاف السنوات .

- ايها السادة لا اعرف لماذا جئتم ، وهذا فضول مني .

فهمتي ان اريكم فقط .

كان الثلاثة منفصلين وانا بينهم امد يدي امام عيونهم .

- ايها السادة مدينتنا لها تاريخ مهيب . كانت مركز العالم

فيما مضى . ثم مرت بها عصور من الظلام . كان الناس غائبين

في بيوتهم وكانت بيوتهم غائبة ، ثم هزتنا مدن بعيدة اخرى :

هيه ايها الغائبون ، اخرجوا . فتسللت الجموع لتبصر الضوء

العجيب .

: ايها السادة ارجو ان تكونوا معي . لقد وصلنا الى

الحاضر . انكم تبصرون هذا النهر الابدي الذي يكوم الثمار

امام العتبات . وهذه الشمس التموزية التي تنفذ الى نهايات

١٠٠ ذراع

كان السيفان الصدفان معلقين في بهو المنزل الداخلي .
حدقت بهما ملياً .
منذ متى هما في موقعهما ؟
كانا قد استلفتهما برغبة غامضة منذ مساء امس .
(ذكرت والدتي منذ زمن بعيد ان جدى الذى كان
ضابطاً فى الجيش العثمانى قد تركهما .)
قفزت فوق كرسى وتناولت واحدا منهما . كان ثقيلاً
بعض الشيء .
مسحت طبقة من الغبار الناعم عن نصله بظفر .

- الامر سواء لدينا . اتنا لا نعرفكم ولكنكم انتم الذين
دعوتوننا .

بدات خطواتهم تتركنى

قلت بصوت مرتفع

- هل ابقى وحيداً ؟

ونظرت الى الصحراء مفتحة ثم لحقت بهم .
كان الثلاثة يتفحصون الاجساد . وكانت عيون
الاجساد المائلة لصيقة باقدامهم دونما حركة .
وامتزج التجمد لدى الجميع .
عبرنا آلاف الاجساد . وظلت فى الافق آلاف غيرها
متسدة .

- كاهم متشابهيون ايها السادة . انكم تعبون هباء .

لم يابهوا بى . توقفت ونظرت الى الاجساد وصرخت .

- ايها المسحورون نهضوا . ايها المقينون الاموات .

ابتعد الثلاثة عنى وهم متعاقبون .

ركضت . واصبحت اقدامى طيوراً .

(ملمسه يبعث حرارة مفاجئة فى الدم)

امسكته من قبضته . رفعته الى الاعلى ثم طمعت الهواء .
واعادته الى مكانه .

البهو خال . غير ان اصوات نحاسية قرعت فى
المطبخ (انها امى) .

(سيدخل اخي الكبير المفتاح ببطء ويدير الباب ثم يمرر
وجهه المتلوى وقامته المتوسطة ، ودون تحية سيدلف الى
غرفة الطعام ثم يرقى الى غرفته فى الطابق الاعلى . سسانه
اليوم القضية) .

دخل المفتاح ثم طق الباب ودخل اخي الكبير .

واجهنى بنظرة فارغة وهو يلقى الباب وراءه

قلت له - تمهل

نظر باندهاش للهجتي الامرة .

قلت له - سنسوى مسالة معلقة قبل ان تناول غداطك .

تحفز وجهه ووضع يديه فى جيبي بنظونه .

قلت

- انت مسوول عن وضعى الذى انا موجود فيه .

ضحك بشغف

- هل تورطت فى قضية ما .

ثم نظر الى فعي باهتمام .

- لقد مسحتني من خارطة الوجود الحقيقية . جعلتنى

ظلالك ايتها المبتز .

فقرت على الكرسي واقتلعت السيوفين . مدتت واحدا

اليسه .

- خذ . سنتبارز .

هز حاجبيه واستدار الى غرفة الطعام .
قلت له

- لن اتركك . سنتبارز بمد الطعام .

امسكت سيفا بيدي واسندت الاخر على الكرسي .

ودكرت عينى على باب غرفة الطعام .

: (منذ ان توفى ابي ، وكنت صغيرا جدا ، اصبح اخي

الكبير حاكم البيت . لم يتفقدني فى يوم ما ، واذا صدف

فيتدخل بغفظة وقسوة فى اتفه الامور ثم يتركنى ملفيا فترات

طويلة . كان ينهى هواياتي ويرغمنى على الاقتناع بهوايات

بخطتها ويوفرها هو) .

شدت مقبض السيف .

« عندما اقيس موقعي الان . احس ان الدنيا مختلفة

عنى • فلم يدعى هذا الاخ اكتشاف شيئا يلقى غرابة العلاقات
والترابطات الكثيفة التي تحرك الحياة • ان فراغا كاملا يملا
(صدوى) •

: لقد اطال في تناول طعامه •
هتفت

- انني انتظر •

: انه السوءول عن ترددى الدائم فى النزول الى صميم

حركة الحياة •

ترددت اصوات اقدامه وهي تتقدم •

امسكت بالسيف الاخر وقلت له
- خذ •

توترت عيناه بالغضب ورفع يده ليصغنى :

- لقد هذرت كثيرا •

وجهت سيفى صوب صدره بثبات • تراجع خطوة مبتعدا

عن سيفى • امرته

- خذ • احذنا ، فقط ، سيبقى •

- كن عاقلا • الاخوة لا يتقاتلون •

- اللعنة عليك وعلى الاخوة • ساقئك اذا رفضت

مبارزتى •

- ٧٤ -

تناول السيف وتراجع الى الحائط •
قلت

- ساعد الى الثلاثة ثم نهجم

ورجعت الى الحائط المقابل

تصميم

ساملك حرىتي بحياتي

ساملكها الى الابد

واحد

اثنان

ثلاثة

وخطوت بسيفى نحوه • انفتح باب جانبي ودخلت امى

مفتضة - ما هذه الضجة ؟

ثم صرخت بهلع

- ماذا تفعلان ؟

اجابها صوته اللصق بالحائط

- يريد ان يقتلنى •

تقدمت منى •

صرخت بها

- ابتعدى

- ٧٥ -

رجل له ٧ اقدام

انتفض الوجه المرفه المرتضى الذي يمد ساقيه باستقامة
امامى
- هل تعرف الفتاة التي كانت برفقتك اليوم في المطعم
- طبعاً . انها تدرس في نفس الكلية ، تعرفت عليها قبل
عشرة ايام .
- هل تعلم انها يهودية
لم اسألها
- لقد اخبرتك لتمنع الامور السيئة قبل وقوعها .
لم اجيبه .
اضطرب الوجه المرتضى ونهض عابرا الى الباب وخرج

المكان

غرفة في بناية تابعة للجامعة

في لندن

كنت ارتبط بالثلج الذي يتساقط ثارا خفيفا ويتجمع حتما

- ٧٧ -

ورفعت يدي .

(ساشطرها الى نصفين)

وكانت سريعة جدا . طوقنتي كالوثاق . قالت

- اشفق على امك المسكينة . انها لا تملك في الحياة

غيركما .

قرقع السيف الذي بيده اخي ساقطا على الارض .

ثم خطا الى الباب الخارجى ليهرب . صرخت به واننا اتملص
من وثاقي امي

- ايها الجبان . قف . لا تهرب ايها الجبان .

اغلق الباب واخترقني .

ابعدت امي ذراعيهما

(لقد تحررت منك ايها البتر . احس بقوة هائجته

تضج في جسدي)

وكانت امي في مواجهتي تردد نصائح وكلمات كثيرة لم افهم

شيئا منها .

- ٧٦ -

- أخبرني احدهم بانك يهودية .
- هناك شيء سري في الداخل أقوى من الكلمتين المتجرتين .
انا د وانت ح . ان وطني هنا في الداخل . لم تقدم لبعضنا حين
تعارفنا تضاريس وتاريخ جوازات سفرنا . انا انسانان في هذا
العالم المملوء .

(سحابة من جراد تطير فوق الصحراء . مدافع لا تنضب)
وأضافت :

- هل تتحول العواطف والاحلام الا محدودة والشخصية
الى عنف دائم . وهل الانسان آلة حربية ترضخ لزمان محدود ؟
- احبك انت . لكن دولتك تبدو خلفك .
تركت كرسيتها
- لا زلت تريطني ببلاد وسياسة وحرب . ذلك مؤسف .
قد للثقي .

ثم خرجت من الغرفة
(بواخر تنفخ صفاراتها في الموانئ ورجال مرهقون يعودون
من سلمها الملامس للمرفأ . البواخر تستعد في البحر وتقيب .
والرجال يختفون في الميناء . تلج لا ينقطع ودقات وهمية على
الباب . وحروب غير منظورة . كل البشر ينهضون . يتحركسون
بملايين الأفعال المختلفة في لحظة واحدة)

تحسنت المكان الذي كانت تشغله الفتاة وقلت :
- انتظري قليلا .

الغرفة الدافئة تتوسع وتضحي مترامية لا تبصر جدرانها .
رفعت الشباك لاهتف اليها من الطابق السادس ان تعود . كان
الشارع لامعا بالجليد الابيض ، وخاليا تماما .

على حافات البناية وفي الشوارع ، قافرا من دفاء الغرفة الى
الطرق الخالية المسولة بالمطر . قبعات منحنية قليلا وايسد
مدسوسة في العاطف تسرع (كانت جالسة وحيدة .. سحبت
كرسيها بجانبها . بدأت بالطريقة المألوفة : الغيوم رقيقة . ستري
الشمس . اذارت وجهها وكأنها تنتظر . سالتها - هل تحبين
الشمس . سالت : اجنبي ؟ اكدت لها بهزة من راسي . وازافت:
اننى ايضا اجنبية . ثم سالتني ان كنت ادرس هنا . لم اسألها
عن وطنها فقد نسيت ذلك في اندفاع الاحاديث الكثيرة .
- كيف عرف هذا اللعين انها يهودية .

هامش

العلاقة لا تبدأ من جوازات السفر

والدين . انما من التطلعات الانسانية

العامة ..

قرع الباب ثلاث مرات . هتف

- ادخل

اغلقت الباب وراءها . وجلسنا سوية على مقعد عريضس
متباعدين تفصل بيننا فجوة صغيرة . ارخت ظهرها على المسند
وارخيت ظهري . كان رأسها يصل الى جانب كتفي . حدقت
الى وجهها الرقيق والى يديها

(هل هي مسؤولة عن الدمار ؟)

امسكت يديها . كانتا دافئتين وناعمتين . قلت :

- هل تعلمين بانني عربي .

بسمطت يديها بين يدي واجابت :

- نعم . عرفت ذلك من اسمك . لماذا تخبرني ؟

الصفحة	القناع -
٥	الحديقة : خرائط الرمل
١٠	انقسامات الراوية
١٥	انتظارات
١٩	مياه
٢٦	الخوذة
٣٠	الطيور ، العشب الأزرق
٣٥	القارب
٤٠	الساعة تفت على الصفر
٤٣	الخيول تركض والفرسان يضحكون
٤٧	المعادلة
٥٠	سهرة تحت غيوم الصباح (مسرحية)
٥٩	الجلد ، القوس
٦٢	الصيادون
٦٥	الحقائب
٦٧	اصبحت اقدامي طيوراً
٧١	١٠٠ ذراع
٧٦	رجل له ٧ اقدام

من منشورات الجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين
- القيادة العامة -

قريباً :

الكيان الفلسطيني
الدولة الفلسطينية
الدولة الديمقراطية

التصميم : مؤيد الراوي
(انتهى طبع الكتاب بتاريخ ١-٧-١٩٧٠)